ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: http://www.jtuh.com
JTUH
مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية
Journal of Tikrit University for Humanities
كليـــة التربية للعلوم الانسانية
College of Education for Human Sciences

Lattice mother in the family's poem of the poet Ibrahim Nasrallah

Dr. Nafie Hammad Mohammed

University of Tikrit
Tikrit, Iraq

***Keywords*:**
I heard your fault
Family poem

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 10 jun. 2017
Accepted 22 January 2017
Available online 05 xxx 2017

A B S T R A C T

Involves the concept of poetry, and their imagination explosive in a poem the family of the poet Ibrahim Nasrallah, a large degree of privacy, as a concept very close to the spirit of the poet, his life and his experience, because a clear indication emanating from the spirit of the concept of returning the poet into involves a significant degree of importance and makes it face the same deep and face-to-face, and the poet Ibrahim Nasrallah of poets who influenced them of childhood and become a part of their experience of .poetry

© 2018 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.25.2018.05

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities

شعرية الأم في قصيدة العائلة للشاعر إبراهيم نصرالله

الدكتور نافع حماد محمد /جامعة تكريت

الخلاصة

الشعرية قديمة جديدة في نظرية الأدب، قديمة لأنها تمتد في عمقها التاريخي إلى أرسطو وكتابه: فن الشعر والبوطيقيا الذي كتب في القرن الرابع عشر قبل الميلاد وجديدة لأنها حظيت من النقّاد المعاصرين باهتمام كبير ولاسيما نقّاد الاتجاهات النصية كونها تحيل إلى شعر دال على شاعريته، وهي في إجرائها النقدي تدل على النص الشعري الغزير بالخيال المتفجر، وإنها تضفي تأثيراً متميزاً ينشط معه ذهن السامع بنوع من الرغبة في استكشاف ما يجهله، للوصول إلى الإثارة والتأثير والانفعال لواجبات الشعر، والتفاعل معه، كما أنه يثير فيه انبهاراً بقدرة الشاعر على استخدام مادة الشعر استخداماً متميزاً، وبراعة في الدلالة على مراميه، واكتشاف القيمة الجمالية. والشعرية في ((قصيدة العائلة)) للشاعر إبراهيم نصر الله تنطوي على خيال واسع تتفجر منه((الأمومة والطفولة)) الأمومة المستوعبة الحاضنة، بعاطفتها لطفولة الشاعر والتي تتمثل بذاتيتها للشاعر، والأمومة الحاضنة بشموليتها وعمق دلالاتها ومعانيها.

إذ ينطوي مفهوم ((قصيدة العائلة)) (1). وما تحمله من معاني ودلالات عميقة على درجة كبيرة من الخصوصية، بوصفها مفهوما قريبا جدا إلى روح الشاعر وحياته وتجربته، لأن الدلالة الواضحة المنبثقة من روح المفهوم تعود بالشاعر

* *Corresponding author: E-mail* : adxxxx@tu.edu.iq

إلى حيز ينطوي على درجة كبيرة من الأهمية، ويجعله بمواجهة ذاته العميقة وجها لوجه، أما إذا كانت ((الأم)) هي التي تتصدر مشهد هذه القصيدة فإن كل المعاني السابقة تأخذ بُعداً أكثر عمقا وحيوية وخصوصية وتألقا، ذلك أن ((الأمومة)) بما تمثله من رؤية حميمية وتاريخية للذاكرة والحلم، ذلك أن الحلم: ينطوي على أفكار كامنة وأن من الضروري أولاً تحرير هذه الأفكار وتسليط الضوء عليها، كونها تهيمن على مناخ هذا النوع من القصائد هيمنة كلية تذهب بالتعبير إلى أقصى درجات العاطفية والوجدانية والحميمية الإنسانية التي لا يمكن أن تقف عند حدّ.

الشاعر المبدع إبراهيم نصرالله ينتخب الرؤى البالغة الحميمية والصلة بالروح الإنسانية الباطنية، الضاربة في أعماق الروح البشرية ليصنع منها أشعاره التي تتحول إلى فرائد إبداعية خلاّقة، ليتميّز بقربه العاطفي من الحياة حيث ينقلها من سخونة الواقع إلى حرارة المتخيّل، محاولاً إثارة عواطف القارئ، إذ ((تقاس عاطفة النص بقدرة الكاتب على إثارة عاطفة القارئ، وإدامة تلك الإثارة في نفسه أطول مدة ممكنة)) (2).

وليس من قبيل المصادفة المحض أو المجاملة السريعة العابرة أن يتحدث عنه احد أهم النقّاد العرب المعاصرين بقوله: ((إن أول ما يلفت النظر جذريا في قصائد إبراهيم نصرالله أنه قادر منذ البداية على خلق حقائق شعرية جديدة، على صنع متخيل لا يتراءى نظيره إطلاقا في قصيدة سابقة عليه.. وهو بذلك يرد لنا كثيراً من الثقة من أن شعراءنا اليوم لا يسلكون دروبا إبداعية مسدودة تضيّق من فضاء الشعر، وتحد من مقروئيته، لأنه قادر بامتلاكه لطاقة تجريبية هائلة، على خلق أشكال فنية وعوالم موضوعية تجسد حيوات خارجية لأصوات متشابكة مفعمة بالرغبات المتضاربة والأمل المقموع. بصيرته مؤلفة من عدة أطراف، حيث يتألف الخيط الواصل بين كلّ أعم الإبراهيم نصرالله من نسيج متماسك لحمته الموقف الوجودي للإنسان الفلسطيني والعربي بكل تفاصيله ومنحنياته، ويتألف من التواصل العميق مع إيقاعات الحياة الثقافية العربية والامتصاص الوئيد لعناصرها الإبداعية والفكرية وتجاوزها في الآن ذاته، لا يمكن لقصيدة يكتبها مثل هذا الشاعر الآن أن تكتب منذ عشرين عاماً، لأنها تستوعب كل المنجز الجمالي الذي حدث في الأعوام العشرين الماضية ... ومثلما يحدث مع كبار الشعراء استطاع إبراهيم نصرالله إبداعياً، أن يخترق صفوف أبناء جيله، وأن يحرق مسافات النمو الجمال والتقني، وأن يقف في الصف الأول مع كبار الشعراء. في هذه الأرض المبدعة الخلاّقة لقصائده التي تمثل إنجازا نوعيا، تؤكد تجربته أن بإمكان الشاعر أن يجدد كثيراً ويظلّ شاعراً موصولاً بجملة المنجزات الجمالية للفنون كلها)) (3).

ولا شك في أن هذه الرؤية النقدية لناقد له باع طويل ومؤثّر في سياق النقدية العربية الحديثة تعكس قيمة هذا المبدع الخلّاق، وتضعه في مصاف أهم الشعراء ا لعرب المعاصرين الذين تمكنّوا من أن يرفدوا الشعرية العربية بكل ما هو جديد يمكن أن يضاعف من قوة هذا الشعر وقدرته على مواصلة الحياة والتجدد والتطور والتقدم أما عن ديوانه الذي نحن بصدد إلقاء الضوء عليه من خلال قيمة مفهوم ((الأم)) في ((قصيدة العائلة))، الذي وضع له الشاعر عنوانا مثيرا على الصعيدين الدلالي والتركيبي ((بسم الأم والابن))(4).وهو ((يقدم لنا معرفة كبرى لضبط انسجام النص، وفهم ما غمض فيه، إذ هو المحور الذي يتوالد ويتنامى ويعيد إنتاج نفسه، وهو الذي يحدد هوية القصيدة، فهو إذ صحت المشابهة بمثابة الرأس للجسد والأساس الذي نبني عليه))(5).إذ تنطوي التسمية في عتبة العنوان على إحالة سيمائية تخرج الخطاب الاسترجاعي من سياقه الذاكراتي، في لحظة تكبر فيها الصورة داخل المنظور البصري الاسترجاعي في سعي تشكيلي ودلالي للاعتزاز بالطفولة الفقيرة، المفعمة بالحب والحنان العائلي، حين يتحول انتشاء الداخل إلى ثراء روحي يتعمق بحضور (الأم) التي وفرت للشاعر الحب والحنان و(الأب) مادياً ومعنوياً، يستعرض فيه الشاعر السير ذاتي في لقطاته داخل سياق ذاكراتي سيرة ((الأم)) و((العائلة)).

فقد وصفه الناشر على صفحة الغلاف على النحو الآتي :

((يعيد هذا الديوان القصيدة العربية إلى الناس على مستويين، الأول لأنه يفتح بابا عريضا مشرعا على جانب خفي حميم ومهمش من حياتهم، عبر رصد حياة أم بسيطة وأب بسيط، وطبيعة العلاقة بينهما وهما هنا والدة ووالد الشاعر، هذه العلاقة التي تبدو مع ما يشبهها من علاقات وأنماط جانبا مهملا ومقصياً وخارج اهتمام الشعر، أما المستوى الثاني فانه يتمثّل في إعادة الشعر للبشر بعيدا عن التهويم والأوهام التي غربت كثيرا من الأعمال الشعرية العربية في العقدين الماضيين.

وإذا كان موت الأب يلعب دورا في إعادة فتح أسئلة الوجود، فإن أسئلة الأم تفتح جراح الأحاسيس المغيّبة، التي يتم التعامل معها كما لو أنها غير موجودة، وأسئلة منفي امتدّ عمره نصف قرن. أهمية هذا العمل الشعري انه يعود ليمحو الصورة المختزلة حتى حدود التجريد، لخلق الله البسطاء الطيبين، وليذكرنا أن لهم حبهم وشغفهم وعذاباتهم وأسرارهم، التي يتتبعها برفق هذا الديوان الذي قد يكون أول ديوان يكّرس بأكمله لتلمّس شخصية الأم من الداخل.)) (6).

وهذا الديوان يحتوي على مجموعة من القصائد التي تتجانس تجانساً كبيراً في قسمين: الأول يختصّ بالأم والثاني يختص بالابن، إذ تلعب الطفولة دوراً بارزً في حياة الشاعر إبراهيم نصرالله، وهي لم تعد مسألة حديثة تثار في الأدب عموما، والشعر خصوصاً بل أن كل شاعر مهما كان موهوباً وعظيماً يستذكر هذه المرحلة من حياته بشوق كبير، إذ لا يخفى على أحد أن هذه المرحلة من أكثر المراحل ازدهاراً وسعادة في حياة الإنسان إذ انه في عالم البراءة والبساطة ما يغنيه عن حمل الهموم والآلام مبكراً (7).

افتتح الشاعر إبراهيم نصر الله ديوانه هذا ب((الإهداء))الذي يقول فيه:

إلى أمي .. ومنها إلى أبي..

له حلمٌ من رغيف ويومٌ من الصخرِ

هذا أبي

مثخنُ برياح الصباح

ومشتعلٌ بالمحبة

من قصيدة قديمة (8).

إذ تتمتّع عتبة الإهداء بقوّة حضور بنائية ودلالية داعمة للمتن النصّي في القصيدة ويمكن تلقّي هذه العتبة بوصفها مفتاحاً مهماً من مفاتيح الكشف عن شعرية القصيدة، من خلالها يتضح الجانب الانتقائي في السرد السير ذاتي_ بما يقوم عليه من جرد ما يتوفر عليه المرء من ذكريات وانتقاء ما هو عالق في ذهن الشاعر، وهذا_ بطبيعة الحال_ يتوقف على وعي الشاعر السير ذاتي في الضغط على ما يراه ضرورياً وحاسماً في تجربته، وترك التفاصيل التي قد لا تعكس تجربتها الحياتية بشكل جيد (9)، إنها العودة إلى الماضي يوم كان طفلاً يحس بحنان أمه ومحبة

أبيه كما أنه يحس بانتمائه إليهما وهي دليل ارتباط الماضي بالحاضر في ذهن الشاعر. وفي الزمن تكمن العلاقة، الأم علاقة ثلاثية غير قابلة للانفصال، الأم / الأب/ الطفولة.

إذ يتجلى الحضور العائلي المتمثل بعبارة ((إلى أمي)) التي تصبح جسرا للوصول ((ومنها إلى أبي))، ويذهب نص الإهداء إلى الأب وهو يعود إلى الأم بشكل ما على النحو الذي يتهيأ فيه الجو الاستقبالي في الديوان للدخول في عالم قصيدة العائلة ضمن علاقة متموجة تخضع لحضور الأم والأب وما يرافقها من تحولات عاطفية وتموجات انفعالية تبرزها على نحو متألق منظومة الأفعال وهي تنمو نمواً درامياً في باطن الحالة الشعرية، وهذه العلاقة غير قائمة على الحاجة بل الحاجات الدائمة بوصفها مصدر الحنان والأمان وهذه السردية الشعرية التي انتقل فيها الشاعر من الأم التي شكلت المسار السردي إلى الأب إذ يبدأ بعالم المعنويات والتي هي أشد التصاقاً بالعاطفة وأرقى درجة من عالم الماديات لترتفع مكانة الأب إلى منطقة الأنا التي تحس وتشعر بما كان يعانيه الأب، الذي يشكل جزءاً مهماً من سردية الشاعر ويتمركز في قمة تأسيس الجو الشعري الذي وفر للشاعر أرضية مناسبة للتوسع في مخيلته السردية التي رسمت حياته وأمدتها بفكر وهاج ونافذة شعرية مفتوحة على الانطلاق، لا تحده الحدود ولا تقيده القوانين، مما ساعد على تشكيل فضاء حكائي يفيد جميع هذه الأقطاب في بناء الأوصاف الشعرية للشخصيات الحكائية التي تؤدي دورها في النص الشعري.

سنحاول أن نختار قصيدة بعينها نعتقد أنها تمثل الديوان بشكل من الأشكال مأخوذة من الجزء الأول منه ((بأسم الأم))، وهذه القصيدة هي((في حديثها عن عرسها)) التي يمكن القول أنها تضم في أجوائها عالم الديوان الشعري والإنساني، ويمكن أيضاً أن تعبر عن شعرية ((الأم)) في هذا النوع من القصائد الذي أسميناه ((قصيدة العائلة)). قصيدة ((في حديثها عن عرسها)) قصيدة كلية شاملة احتوائية تضم بين جوانحها وأجوائها قلب التجربة، ومن أجل إعطاء صورة تحليلية واضحة عنها

سنورد أول القصيدة كاملة لتكون أمام أنظار القارئ، وبعد ذلك نجتهد في تحليلها في ضوء فكرة العنوان الذي تصدر قراءتنا.

ونص القصيدة كالآتي :

من بعيد سمعتُ خطاك
عرفتكَ من بينهمْ
حين جاءوا إلينا مساءً
وفي إثرهم شمسُهم
من بعيدٍ عرفتكَ
قلتُ لقلبي كلاماً كثيراً
ومرجحتُهُ في شحوب الظلامِ
وفي صمت خيمتنا الداكنةٌ
كنتُ اضحك تنهرني عتمةٌ
ثم تصرخُ أمّي اجلسي ساكنة
... ...
وقدّمت شاياً لهم
فلمحتُكَ
كيف تصبّب بَرد على جبهتي
وعروقي ليس بها غيُر سيلٍ من النار يجري.
وكيف وقفتُ أمامكَ ثانيتينِ
أدركت أني نهرُ وانكَ بحري.
قلتُ: قد جاءني زمنٌ
سوف أرتاحُ فيِه
من الحزنِ
والليلِ
والتعبِ
وفي يوم عرسيَ قلتُ لأهلي
: هو الآن أهلي
وقلتُ لأمي:
هو الآن أمّي .. أخي .. وأبي
ليس في دمعتي الآن شيء سوى أنكَ الآن مُتَّ
ويتّمتَ يا سندي سُحبي
ليس في دمعتي الآن شيءٌ
سوى
أنها عتبي(10).

على الصعيد الحكائي والسردي الماثل في النص فان القصيدة / الحكاية تروي بلسان (الأم)، وتتلخص كما هو واضح في وصفها لمجيء(الأب) مع مجموعة من الخاطبين لخطبتها، ونحن نتحدث هنا بلفظة (الأم) و (الأب) باعتبار أن التجربة في منحاها العام تخص الشاعر، بالرغم من أن (الأم) هنا تتحدث عن تجربتها قبل أن يكون الشاعر ابناً لها، على طريق

الاستعادة التي يقوم بها الشاعر للذاكرة الإنسانية العائلية التي يرسم بها المشهد.

القصيدة سردية يسترجع فيها الراوي الذاتي الذي هو((الأم)) هنا من خلال عنوان القصيدة ((في حديثها عن عرسها)) قصة عرسها، في تحديد للزمان والمكان والحدث.

ويستهل الراوي استرجاعه من خلال تفعيل حساسية الاستشعار عن بُعد الذي يشغّل آليات العاطفة–الهاجس والسمع–((من بعيد/ سمعت خطاك/ عرفتك/ من بينهم))، ويتحدد بعد ذلك مباشرة فضاء الحدث السردي الذي يصف المكان ويوحي بالفكرة ((حين جاءوا/ إلينا/ مساءً))، وهو يخضع لتصوير استعاري يعزز الفكرة ويربط فضاء السرد الحدثي بفضاء الشعر الاستعاري الرمزي داخل الصورة.

ومن ثم يقوم الراوي الذاتي بعزل المقدمات بعيدا عن حساسية التشكّل الذاتي العميق للحدث. إذ يبدأ بالعمل لصالحه بعد أن يهيئ المناخ للاستقلال والتمحور حول الذات وانشغالاتها ((من بعيد/ عرفتك))، وتمثل هذه المعرفة صورة من صور الطمأنينة لقيام الحدث– الحلم القادم في فضاء الحكاية،

هنا ينغلق فضاء السرد على الشخصية الساردة ليتحول الحوار الداخلي إلى مونولوج عاطفي مستغرق في طموحاته وتأملاته وأحلامه ((قلت/ لقلبي/كلاما كثيراً))، يأخذ فيه فعل السرد القولي مداه، لكنه ما يلبث أن ينفتح على الفضاء الشعري الرمزي لينزاح عن مساره السردي ((ومرجحته في شحوب الظلام))، ويرتفع تعبيرياً إلى منصة الشعر.

ينتقل السرد الشعري بعد ذلك إلى المكان ليصفه من خلال التجربة الشخصية وما يحيط بها من فضاءات وآفاق، إذ يتولّد إيقاع متعاكس بين صمت المكان وفرح الذات الساردة ((وفي/ صمت / خيمتنا الداكنة / كنت / أضحك / تنهرني عتمة / ثم / تصرخ / أُمي اجلسي ساكنة))، فالصمت الذي يلفّ المكان ((صمت)) داخل اللون الذي يضاعف قيمة الصمت في الصورة ((الداكنة))، يقع في تضاد صوتي مع الفعل ((أضحك)) المعبر عن سعادة الساردة، ويستجيب على نحو ما مع صوتية الفعل الآخر القادم من منطقة الصمت حفاظا على المناخ الاجتماعي الذي يقوّض فعل الفرح دائما.

ثمة صراع دلالي وتشكيلي يجري في هذا المقطع بين المفردات الصوتية ((أضحك / تصرخ)) من جهة، ومفردات الصمت والسكون ((صمت / الداكنة / عتمة / ساكنة)) من جهة أُخرى.

يعقب هذا المقطع فاصل أشبه ما يكون بمحطة إيقاعية تفصل بين حركة وحركة في سياق السرد الشعري على شكل نقاط ((.....))، توحي بانتقال الحدث الشعري من مستوى إلى آخر.

يتواصل العرض السردي للحكاية حين يتدخل الراوي الذاتي في عمق الحدث لتبدأ بصياغته وتفعيله ((وقدمت شايا لهم))، ثم يتحرّك الفعل الذاتي السردي باتجاه الآخر لتحقيق التواصل الروحي والعاطفي المطلوب ((فلمحتك))، عبر حساسية بصرية خاطفة تعبرّ عن طبيعة الاهتمام والمتابعة والتواصل.

ومن ثم تعود الساردة إلى ذاتها لتصوّر مدى التأثير الحاصل في استجابتها للتطور الجديد الحاصل في الحكاية ((كيف تصبّب بردٌ على جبهتي))، الذي يبلغ درجته الانفعالية القصوى في ((وعروقي ليس بها غير سيل من النار يجري))،من خلال صياغة نوعية للحال الشعورية والنفسية والعاطفية التي كانت عليها الذات الساردة المتكلمة بإزاء هذا الموقف الانفعالي.

وفي تصوير آخر لكثافة الزمن السريع الذي حصلت فيه الحكاية في بؤرتها المركزية ((وكيف وقفت أمامك ثانيتين))،والاستقرار على نهاية للحكاية كأنها اليقين بعينه((فأدركتُ أني نهرٌ وأنك بحري))، بالشكل الذي وضع خلاصة مكثفة للتجربة في سياق معين من سياقاتها.

هنا ينتهي الفعل السردي الخارجي بعد أن استقرّ على وضعية حكائية معينة، لتعود الساردة إلى مناخها المونولوجي وتحاور ذاتها استناداً إلى ما حصلت عليه من إمكانات حددت مستقبلها في الحكاية، إذ إن الطمأنينة التي صارت إليها أحداث الساردة مع حكايتها أفضت إلى تطور حاسم في بنيتها، على صعيد إيمان الذات الساردة بأن الأمور جرت كما تريد وكما تشتهي بحيث أطمأنت على مستقبلها وبدأت تفكر فيه بحرية ((قلتُ: قد جاءني زمنٌ / سوف أرتاح فيه / من الحزن / والليل / والتعب)).

في المقطع اللاحق تتحول الحكاية من مستوى الظن والأمل إلى مستوى الفعل الحقيقي المنجز((وفي يوم عرسي قلت لأهلي))، بحيث تتجرأ الذات الساردة على النظر إلى الزوج القادم بوصفه المحطة النهائية التي تختزل المحطات كلها وتضعها في سلّته ((: هو الآن أهلي / وقلت لأمي : / هو الآن أمي .. أخي .. وأبي))، على النحو الذي يمكن أن يشي بطبيعة الحياة التي يمكن أن تكون عليها هذه الشراكة الزوجية بين الاثنين.

ثم تحصل قفزة سردية كبيرة ربما تختصر العمر المشترك بينهما كلّه، لتأتي إلى المرحلة الأخيرة منه وهي مرحلة الوداع الأخير، لذا فالشاعر يترك فراغاً بسطر شعري يحيل على هذه الانتقالية، وربما على القارئ أن يجتهد في ملء هذا الفراغ الذي حتماً سيشغله بكل معاني السعادة والفرح والبهجة والكفاح من أجل حياة كريمة وحرة وأصيلة هي الآن تتحدث عنها، الألم والمعاناة والحسرة وتصف حياتها الصعبة من دونه.

المقطع الآتي يعبر عن مرحلة الرحيل والفراق التي يمثلها(الموت)ويفصل فيها بين (الدمعة) و (اليتم)، على النحو الذي يوصل تجربة القصيدة وفكرة الديوان عموماً إلى منتهاها.

في هذا المقطع تواصل الذات الساردة للمسيرة الحكائية في صورتها الختامية ((ليس في دمعتي الآن شيء سوى أنك الآن متّ / ويتّمتَ يا سندي سُحبي))، حيث تظهر ثلاث علامات تنقل الحكاية الشعرية إلى فضاء سردي جديد هي ((دمعتي / متّ / يتّمتَ))، ليبلغ ((حديثها)) مستوى فاجعاً من التعبير عن المعاناة والمأساة. ويختتم ((حديثها)) في المقطع الأخير شكل الصورة النهائي عندما تغيب الدمعة ايضاً لتتحول وتختزل إلى عتب ((ليس في دمعتي الآن شيء/ سوى/ أنها عتبي))، إذ تشكل الرؤية في هذا النص حالة التوحد والتطابق المفترض وجودها بين الذات الراوية والمروية ، وعائديه الذاتين إلى ذات موجودة خارج النص، سبق لها أن عاشت الحياة في الواقع، وهي نفسها التي سوف تعود لتعيشها على مستوى النص(11)،ما تلبث الكاميرا المشتغلة في حقل الذاكرة أن تسترد وعيها الزمني عائدة إلى الحاضر ومنفصلة عن الماضي الجميل بمسافة تتيح لها تصوير اللقطة الهادئة، لتلتقط صورة معبرة، عن عتب في لحظة شعورية مشحونة بالأسى على ذلك الزمن فتعلن الحكاية عن نهايتها ويقف سرد الذات عند هذا الحد بعد أن استكملت الحكاية على هذا النحو المكثّف الجميل، المزدحم بثراء شعري بالغ الدلالة، سعى الشاعر إلى تحويل الأم–واقعاً وتخييلاً–إلى رمز شعري أسطوري عميق الجذور يستلهم عبره قوة حضور الذات في الأشياء والرؤى لذا فإنه سخر جزءاً كبيراً من تجربته للعودة إليها والخوض في تفاصيل سيرتها، كما أنه عبّر عن حضور العائلة الأم – الأب– الابن، عبر رؤية شعرية أسهمت في تكوين أنموذجه الشعري الذي يتميز بتجربة شعرية شديدة الخصوصية، وقصيدته ذات تميز أسلوبي وتركيبي مبني على سرد الذات، كما أنها تصفية حساب عاطفي بين ولد بار وأم رؤوم. وإنه لكذلك في مستوى ما. لكننا لن نأخذ منه الكثير إذا قصرناه على هذا المستوى. فالشعر لا يتأطر ولا يختزله الموضوع، بل يتكوكب في رؤيا ويصبح البناء فيه جزاءاً عضوياً من الرسالة، وقد تغرينا البساطة التي يتقنّع بها إبراهيم نصرالله في هذه القصيدة، لكن هذه البساطة الماكرة من شأنها أن ترسل الشعر، أو ترسل المتلقي إلى الشعر، بما هو ابعد وأبقى فنحن إزاء دراما عالية قطباها الإنسان والزمن. ولأننا لسنا أمام مقامات أو مقالات تأملية أو فلسفية فإننا نتدبر هذه الدراما بإشاراتها ومجازاتها العرفانية مسلحين بما تسلّح به الشاعر من قبل النص الغائب الذي يبدأ من العنوان وينتشر في المجموعة على هيئة شذرات معرفية، أو علامات دالة على اللحظة الفلسطينية بالمعنى الواسع للكلمة، أي غير المرتهن للمناسبة والظرف (11).على النحو الذي خلق لها ملامح فضائية فريدة اختلفت بلغتها ونكهتها وحساسيتها. ليظهر الذات الشاعرة في انتمائها إلى خصوصية ذاتها الضامة والمستوعبة والحاضنة، التي تعكس الرؤى والمواقف والقضايا والخيالات (12).

ولعل تجربته الحياتية العائلية ترتبط بتجربته الشعرية إذ تضيف المعطيات الفنية والجمالية، والدلالية للتجربة الشعرية كونها الأساس الجوهري الذي يستند إليه الأديب في إبداعه، ومن دون وجود تجربة حقيقة لها مساس بواقع الأديب ومجتمعه وحياته فلا وجود لإبداع حقيقي، وهوما يحتم على الأديب دراسة هذا الواقع وفهمه واستيعاب مشكلاته الأساسية لأن((الأديب لا يستطيع مواجهة مشاكله والتعبير عن تجربته إلا بالكشف عن جذورها الاجتماعية))(13).لتعمل على صهر المكونات والرؤى التي أنتجتها الحلقات السابقات للرؤيا، ودفعها باتجاه التوصيل من اجل صياغة رؤى جديدة تبث في مناطق

حساسة ودائمة الإثارة في عاطفة القارئ.

على النحو الذي يجعل الشاعر يحيط إحاطة مركزية وشاملة بالمحيط الزمني والمكاني الذي تتحرك في إطاره الحادثة الحكائية، التي تقوم الذاكرة بتحريكها. والشاعر إبراهيم نصرالله من الشعراء الذين تركت الطفولةُ في حياته أثراً كبيراً بما تحمله من سعادة وشقاء، فهو دائماً يلجأ إلى استرجاع الماضي وتحريكه فالقصيدة تقدم صورة أُمه بالذات مشاعرها وأمثالها وحكمتها، التي ترتبط بالأم المنحدرة من تأريخ هذه المنطقة من العالم بمحولاتها البدائية والثقافية والروحية، فالشاعر إبراهيم نصرالله صاحب قضية في شعره وهو ما جعل قصيدته متوهجة، تعبر عن قضية الجرح، ترسم وتصور وتحكي وهو شاعر يبتعد عن تكرار نفسه في قصائده، مراقباً في ذلك تطور تجربته الشعرية، كما يراقب التطورات التي تحصل في تجارب الشعراء الآخرين لتسهم في تطوير أنموذجه الشعري.

الإحالات :

(1) أطلق هذا المصطلح الأستاذ الدكتور محمد صابر عبيد في دراسته الموسومة ((العائلة وسردية الذات الشاعرة))، ينظر: جريدة "الأديب"، العدد (138)، تشرين الثاني 2006، تصدر عن دار الأديب، بغداد :6-7.

(2) في النقد الأدبي الحديث منطلقات وتطبيقات، د. فائق مصطفى، د. عبد الرضا علي، دار الكتب والطباعة، الموصل ،ط2، 30،2000م،30.

(3) د. صلاح فضل، الغلاف الثاني لديوان بسم الأم والابن، إبراهيم نصرالله المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1: 1999.

(4) نشر هذا الديوان بعد صدور مجلد إعماله الشعرية في كتاب مستقل عام 1994، وبعد حصوله على جائزة سلطان العويس في الشعر عام 1997، وهي اكبر جائزة عربية تمنح للأدب العرب المتميز كل عامين، ينظر الديوان ص :138.

(5) دينامية النص، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، ط2، 1990 :72.

(6) الناشر، الغلاف الداخلي للديوان.

(7) ينظر: الأمومة والطفولة في شعر محمد الماغوط، نرجس خلف اسعد، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد (14) العدد 3، 2007، 166-167.

(8) الديوان : 5.

(9)ينظر: أوجه السيرة، أندريه مورا، ترجمة: ناجي الحديثي، دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد، 1978: 55.

(10) الديوان: 9-11.

(11) ينظر: أنساق الميثاق الأطوبيوغرافي: السيرة الذاتية في المغرب نموذجاً، حسن بحراوي، مجلة آفاق المغربية، العدد3-4 لسنة 1984: 40 .

(12) ينظر: الشاعر احمد دحبور، الغلاف الثاني لديوان بسم الأم والابن، إبراهيم نصرالله، 1999.

(13) ينظر: شعرية طائر الضوء، د. محمد صابر عبيد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت،2004،:4.

(14) حول الأديب والواقع، د. عبد المحسن طه بدر، دار المعارف، مصر ،ط11: 2.